﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: 1 - 5]

❁ مُناسبةُ السّورةِ لما قبلَها:

لا يُستَعاذُ عندَ الحاجات إلّا بالأحدِ الصَّمَد

لمّا ذكرَ النظمُ الكريم انفرادَ الله تعالى بالألوهيَّة والأحديَّة والصّمديَّة في سورةِ الإخلاص؛ نجَمَ عنهُ اللُّجوءُ إليهِ وحدَهُ، بأنَّه ربُّ كلِّ المَخلوقات وربُّ الناس، معَ ذِكرِ ما يُلجَأ بهِ إليه من أنواعِ الشَّرِّ[1]، فيكونُ ذكرُ سورَتَي الفَلَق والنّاس تطبيقًا عمليًّا لما تقرّرَ من دليلٍ نَظَريٍّ على انفرادهِ تعالى بالألوهيَّة في سورةِ الإخلاص، وفي ختمِ القرآن بهذه السّوَر الثّلاثة تذكيرٌ بقضيَّةِ الوحدانيَّة والانفرادِ بالكمالاتِ في سورة الإخلاص، ثُمَّ بقضيّةِ الاستعاذةِ من شُرورِ كلِّ المخلوقاتِ باللّه تعالى وحدَهُ دون أحَدٍ سِواه؛ إذ لا يُلجَأُ عندَ الحاجات إلّا إلى المُتفرِّدِ بالكَمالات.

الإخلاص والفلق والناس، معوّذاتٌ لصاحبهن من شر الوسواس، ومن شر الناس

"وأبان في هذه السّورة وما بعدها - وهما المُعَوِّذَتانِ - ما يُستعاذ منه باللّه من الشرِّ الذي في العالَم، ومراتبَ مخلوقاته الذين يَصُدّون عن توحيد اللّه، كالمشركين وسائرِ شياطينِ الإنس والجنّ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعُوذُ﴾: (عوذ) أصلٌ يَدُلُّ على الالتجاءِ إلى الشّيءِ، يُقال: أعوذُ باللّه، أي: ألجَأُ إليه، عَوذًا أو عياذًا، ويقولونَ: فلانٌ عياذٌ لك، أي: مَلجأٌ[3]، واستعَذْتُ باللّه، وعُذْتُ بهِ مَعاذًا

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 2053.
(2) الزحيلي، التفسير المنير: 30/ 469 - 470.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عوذ).

وعياذًا: اعتصمْتُ، وتعوّذتُ به، وعوّذتُ الصّغيرَ باللّه[1]، فالمرادُ به في الآية: الالتجاءُ والاحتماءُ والتمَنُّع.

2) ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾: (فلق) أصلٌ يدلُّ على فُرجةٍ وبَينونةٍ في الشَّيءِ، وعلى تعظيمِ شيءٍ، والفَلَقُ: ضَوءُ الصُّبح؛ لأنَّ الظّلامَ يَنفلِقُ عنه، والفَلَقُ: مُطْمَئِنٌّ من الأرضِ كأنّه انفلَق، والفلقُ: الخَلقُ كلُّه، كأنَّه شَيءٌ فلقَ عنهُ شيءٌ حتّى أُبرِزَ، وأُظهِرَ[2]، وفَلَقْتُهُ فلْقًا: شَقَقْتُهُ، فانفلقَ[3]، فهو انشِقاقٌ معَ حصولِ إبانةٍ بينَ الطَّرَفين، ومن مصاديقِه: انفلاقٌ في الحَبَّة والنَّوى، وانفلاقٌ بينَ الظُّلْمَةِ والنّور، وانفلاقٌ طبيعيٌّ بينَ مُرتفِعَين، وانفلاقٌ بينَ الحقِّ والباطلِ، ولمّا أُريدَ الاستعاذةُ من شَرِّ مُطلَقِ الخَلق؛ ناسبَهُ ذِكرُ ربِّ الفَلَق، أي: ربُّ كلِّ شيءٍ يتَّصفُ بكونِهِ مُنفلِقًا[4]، فالمرادُ به في الآيةِ: ربُّ كلِّ المخلوقاتِ.

3) ﴿غَاسِقٍ﴾: (غسق) أصلٌ يدلُّ على ظُلمةٍ، فيقالُ: غسَقَتْ عينُهُ، أيْ: أظلمَتْ، والغَسَقُ: الظُّلمةُ، وهو أوّلُ ظُلمةِ اللَّيل وشِدَّةُ ظُلمَتِه، وقد غسَقَ اللّيلُ يغسِقُ، أي: أظلَمَ، والغاسِقُ: اللّيلُ إذا غابَ الشّفَقُ، وهو اللّيلُ المُظلِم[5]، فالغَسَقُ هو الظُّلمةُ النّازلةُ المُحيطةُ، والغاسِقُ: هو كلّ شيءٍ نزلَ، وأحاطَ، مادّيًّا كالظُّلمةِ في اللَّيل، أو مَعنَويًّا كالكُدورات والظُّلُمات الغاشية للقلب[6]، والمرادُ به في الآية: كلُّ ظلمةٍ مادّيَّة أوْ معنويَّة.

4) ﴿وَقَبَ﴾: (وقب) أصلٌ يَدُلُّ على غَيبةٍ في مَغاب، يُقالُ: وقبَ الشيءُ؛ إذا دَخلَ في وقْبِه، وهي كالنُّقرة في الشَّيءِ، ووقبَتْ عيناه: غارَتا، ووَقَبَ الشَّيءُ: نزلَ، ووقعَ، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قالوا: اللّيلُ إذا نَزَلَ[7]، ووَقَبَ الظّلامُ: دخلَ على النّاس[8]، فهو دخولُ شَيءٍ في مَحلٍّ، ومن مصاديقِه: دُخولُ الظُّلمةِ في اللَّيل[9].

5) ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: (نفث) أصلٌ يدلُّ على خروجِ شيءٍ من فمٍ أوْ غيرِهِ بأدنى جرْس؛

(1) الفيومي، المصباح المنير: (عوذ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فلق).
(3) الفيومي، المصباح المنير: (فلق).
(4) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 9/ 128.
(5) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (غسق).
(6) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 7/ 234.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقب).
(8) الجوهري، الصحاح: (وقب).
(9) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 13/ 160.

فنَفَثَهُ مِن فيهِ يَنفُثُ نَفْثًا: رَمَى به، والنَّفْثُ شبيهٌ بالنّفخ، وهو أقلُّ منَ التُّفْل، فهو نفخٌ شَديدٌ منَ الفم، فيهِ ريقٌ قليلٌ، ونفَثَ؛ إذا بزَقَ، ومنهُم مَن يقولُ: إذا بزَقَ، ولا ريقَ معَه، ونفثَ اللّه الشَّيءَ في القلبِ: ألقاهُ، ومنهُ نَفْثُ الرّاقي ريقَهُ، ونفَثَهُ نفْثًا أيضًا: سَحَرَهُ، فالسّاحِرَةُ تنفثُ السُّمَّ، والنّوافثُ: السَّواحِرُ حينَ يَنفُثْنَ في العُقَد بلا ريقٍ، والفاعلُ نافِثٌ، ونفّاثٌ مبالغةٌ[1]، والمرادُ به في الآيةِ: السّواحرُ اللّاتي يُخرِجْنَ الهواءَ من الفمِ بريقٍ قليلٍ عندَ عمَلِ السِّحْر.

6) ﴿ٱلۡعُقَدِ﴾: (عقد) أصلٌ يدلُّ على شَدٍّ وشِدَّةِ وُثوق[2]، فعَقَدْتُ الحبلَ أعْقِدُه عقْدًا، فانعقَدَ، والعُقدة: ما يُمسِكُه، ويوثِقُه، ومنه قيلَ: عَقَدتُ البَيعَ ونحوَهُ، وعَقَدتُ اليمينَ[3]، فهو انضمامُ جُزئينِ أوْ أجزاءٍ وشَدُّها في نُقطَةٍ مُعيّنة، ويُقابلُهُ الحَلُّ، وهو فكُّ العُقدة، والمراد به في الآية: جمعُ عُقدةٍ؛ إذ تَنفُثُ السَّواحِرُ في العُقَد الَّتي يَعقِدْنَها[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يأمُرُ اللّه نبيَّه محمَّدًا ﷺ والمؤمنين من ورائه أن يقولوا: ألتجِئُ، وأحتَمي باللّه تعالى وحدَهُ الَّذي هو ربُّ البَرايا المَخلوقةِ جميعِها، من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ خَلَقَهُ، ومِن شرِّ اللَّيل المُظلِم؛ إذا أقبلَ، ونزَلَ، ومن شرِّ السَّواحِرِ ينفُثْنَ في العُقَد التي يَصنَعنَها عندَ السِّحر، ومِن شرِّ كلِّ حاسِدٍ يتمنَّى زوالَ نِعمةِ الآخر؛ إذ صدَرَ منهُ الحسَدُ[5].

التَّعَوُّذُ مِن شُرورِ المَخلوقاتِ بخالقِ الأرضِ والسَّماوات

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ الاستفتاحِ بالفِعل ﴿قُلۡ﴾:

استفتَحَ النَّظمُ الكريمُ السّورةَ بفعلِ القولِ أمْرًا، في قولِ اللّه

الاعتناءُ بالمَقول، والحِرصُ على اللَّفظِ المُبَلَّغِ المَنقول

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والفيومي، المصباح المنير، والمصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: (نفث).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقد).
(3) الفيومي، المصباح المنير: (عقد).
(4) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 8/ 199.
(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 459.

تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾؛ للدِّلالة على الوجوبِ؛ إذ فيها تكليفٌ بإنشاءِ معنًى في النّفس يؤدَّى بهذه الألفاظِ المخصوصةِ المُنبِئةِ عن وُجوبِ الالتجاءِ إلى ربِّ كلِّ المخلوقاتِ ومليكِها، وفي هذه الصّيغة دلالةٌ على الاهتمامِ بالمَقول، وأنَّه أمرٌ عظيمٌ ينبغي الاستماعُ والإصغاءُ له؛ إذِ الابتداءُ بالأمرِ وما فيهِ مِن قوّةٍ وتنبيهٍ يَقودُ إلى إصاخة السَّمْعِ لَه، واستعمالُ مادّةِ القول؛ للدَّلالة على أنَّ ذلك المعنى المُنشَأ في النفس مُعبَّرٌ عنهُ بمادّةٍ سهْلةٍ على اللِّسان، ليّنةٍ عندَ التعبير.

والأمر بالقول يُفيد المُحافظةَ على أداءِ تلك الكلماتِ بأعيانِها، حتَّى يُبلِّغَها ﷺ بألفاظها، وأنَّ تلك الألفاظَ تحملُ معنًى يَنبغي العنايةُ بأدائِهِ وقولِهِ بلفظِهِ المَخصوص؛ لما فيهِ من نفعٍ وخيرٍ وفائدةٍ، قال ابنُ عاشور: "الأمْرُ بالقَولِ يَقتَضي المُحافَظَةَ عَلَى هَذِهِ الألْفاظِ؛ لأنَّها الَّتي عَيَّنَها اللهُ لِلنَّبيِّ ﷺ؛ ليَتَعَوَّذ بها، فإجابتها مَرْجوَّةٌ؛ إذْ لَيْسَ هَذا المَقولُ مُشْتَمِلًا عَلَى شَيْءٍ يُكَلَّفُ بِهِ، أوْ يُعْمَلُ حَتَّى يَكونَ المُرادُ: (قُلْ لَهُمْ كَذا)، كَما في قَوْلِهِ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1]، وإنَّما هوَ إنْشاءُ مَعْنًى في النَّفْسِ، تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الأقْوالُ الخاصَّةُ"[1].

دلالةُ الخِطابِ بالأمر:

عبّر النظمُ الكريم بضَميرِ الخطاب (أنتَ) المُقدَّرِ وُجوبًا في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾؛ للدِّلالة به على الذّاتِ النَّبَويَّة الشَّريفة المُخاطبةِ بالقرآن مُباشَرةً، والذَّواتِ الّتي تَسمَعُ هذهِ الكلماتِ عَبرَ العُصور والدُّهور، فهو من الخِطابِ بالضَّمير الدالِّ على مُعيَّنٍ، والمرادُ به كلُّ مَن يَصلُحُ أنْ يكونَ مُخاطَبًا؛ لأنَّ التعوُّذَ باللهِ ليس مَخصوصًا به ﷺ، ولذلك أمرَ بعضَ أصحابه بأن يتَعَوَّذوا بها[2].

استعمالُ المُشترَكِ في مَعنَيَيهِ لتعميمِ الخِطاب لهُ ولِمَنْ يَسمَعُ بينَ يدَيهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 626.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 626.

دلالةُ الفِعلِ ﴿أَعُوذُ﴾:

التعوُّذُ المُستمِرُّ احتماءٌ بمَن لهُ الخَلقُ والأمْر

عبّرَ النظمُ الكريمُ بفعلِ الإعاذة في قولِ الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾؛ لدلالةِ مادَّته على طلبِ الالتجاءِ والتحصُّنِ بالمَولى الجليل وحدَهُ من شرِّ المخلوقاتِ؛ للوِقايةِ به تعالى ممّا يُخافُ، ويُحذَر.

وجاء الفعلُ مُضارِعًا ﴿أَعُوذُ﴾؛ للدَّلالَة على طلبِ الالتجاءِ والتحصُّنِ بالله تعالى، فهي جملةٌ خبريَّةٌ لفظًا، إنشائيَّةٌ مَعنًى، والغرضُ من العدولِ عنِ الطّلب إلى الإخبار الحَثُّ على تَعَوُّذِ المُخاطَب باستمرارٍ تجدُّديٍّ، ولذا لم يأتِ النظمُ بالإنشاء: (عُذْ بربِّ الفلَق)؛ لأنّ الأمرَ لا يَدُلُّ على التكرارِ إلّا بقَرينة، فكانَ العُدولُ عن صيغةِ الأمرِ إلى الصّيغةِ المُضارِعَة؛ لإفادةِ استمرارِ الالتجاء إلى الله وتكرارِه، وفي التّعبيرِ عن الطّلب بالإخبار تقويَةٌ للمأمول، وتقريبٌ للمَوعود، وبيانٌ لعظيمِ رحمةِ ربِ العبادِ؛ فكأنّه يُجيبُه بمجرَّد أن يَدْعو، فيسبغ عليه من وافِرِ حمايته وصيانَتِه ما يشمَلُ حاجَتَه، ويَقيه من الشُّرورِ المُحيطَةِ به، ويدفع هَمَّه وخَوفَه.

دلالةُ الإسنادِ إلى المُتكلِّم:

عُمومُ المتكلِّم لعُمومِ مَن صدَرَ عنهُ النّظمُ المُفهِم

أسندَ النظمُ الكريمُ فعلَ الإعاذة إلى ضَميرِ المتكلِّم، في قولِ الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾؛ للدِّلالة بهِ على كلِّ مَن يصلُحُ أنْ يكونَ متكلِّمًا به، فالضّمير وإنْ أُريد به الذاتُ النبويَّة الكريمة إلّا أنّه عامٌّ في كلِّ مَن يصلُحُ أنْ يكونَ مُستعيذًا بتلك الألفاظ، لعمومِ الخطابِ بالأمر ﴿قُلْ﴾، وإنَّما عُدِلَ عن (قولوا نعوذُ) بالجَمع إلى صيغةِ المُخاطَب المفرَدِ والمتكلِّم المُفرد؛ للدِّلالة على تشريفِ المُخاطَب ﷺ، وأنَّ الواجبَ اتّباعُهُ فيما يقولُهُ، ويُبلِّغُه عن ربِّه؛ لأنَّه حاملُ الرِّسالة والمكلَّفُ بأدائِها[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 626.

دلالةُ الباءِ:

تحديدُ المُتعوَّذ بـهِ؛ لـيكـونَ اللُّجوءُ إليهِ

عدَّى النظمُ الكريم فعلَ الإعاذة بالباءِ الدالّة على الإلصاق والاستعانة في قولِ الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾؛ لتحديدِ المتعوَّذِ به؛ لأنّ فِعلَ الإعاذة يستلزِمُ مُتعوَّذًا به ومُتعوَّذًا منه؛ إذِ الاحتماءُ يكونُ باللُّجوء إلى ذاتٍ قادرةٍ تَقيهِ من المَخاوفِ والشرِّ.

نكتةُ الوَصفِ بالرُّبوبيَّة:

التربيةُ والإحسانُ تَقتضي اللُّجوءَ إلى الكريمِ المنّان

عبّرَ النظمُ الكريم بصِفَة الرُّبوبيَّة - دونَ ذِكرِ الخالِق أوِ الموجِد - في قولِ الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾؛ للدّلالة على التعليلِ للاستعاذةِ به تعالى؛ لأنَّ تعليقَ الحُكم بالمُشتَقِّ دالٌّ على عِلِّيَّةِ مَبدَئِهِ له، فهو ربُّ كلِّ شيء، ومَن كانَ ربًّا ومُرَبّيًا ومُحسِنًا وسَيِّدًا؛ فإنَّ الاستعاذةَ تكونُ به وحدَه، وهذا التَّعليلُ ظاهِرٌ عَلَى تعميمِ ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ لسائرِ المَخلوقات؛ لشُمولِهِ المُستَعيذَ والمُستَعاذَ منه، وعلى تَخْصيصِهِ بالصُّبح ظاهرٌ أيضًا؛ لأنّه مُشعِرٌ بأنَّه قادرٌ عَلَى إزالةِ أكدارٍ أصابَتْ، ودفعِها قبلَ إصابَتِها، كما أنَّه قادرٌ عَلَى إزالةِ ظُلمةِ اللَّيل بضياء الصَّباح[1].

فأفادَ التعليلُ الانحصار، ولذا لم يأتِ النظمُ بالتّقديم: (قُلْ بربِّ الفلقِ أعوذُ)؛ لأنَّ التعليلَ أغنى عنه؛ إذْ رُبوبيّتُهُ لكلِّ ما انفلَقَ تقتضي أنَّه فوقَ كلِّ شيء، فلا تتحقّقُ الاستعاذةُ بغيره؛ لأنَّ كلَّ ما يصدُقُ عليه أنَّه غيرُهُ؛ فربُّ الفلقِ ربُّهُ.

وكما أنّ التَّعبيرَ بالرُّبوبيَّة فيه إشارةٌ إلى تَعليل الاستعاذَة بالرَّبِّ، فإنَّ فيه إشارةً إلى وصفِ الاستعاذة نفسِها، وأنّها مِن جِنسِ تَرْبيَةِ الله للمُستَعيذ[2]، فكأنّ المُستَعيذَ بهذه الكلمات جَعلَ تربيةَ الله فيما سَبَقَ وسيلةً إلى تَربيَته في الحاضِر والمُستَقبَل بالحِماية والعِناية،

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 503، والهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 458.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 348.

وكأنّه يقول: (إنَّ التربيَة والإحسان صِفَتُك، فلا تُهمِلْني، ولا تُخَيِّبْ رَجائي، فأنتَ المُؤَمَّلُ في المَخاوِف، المُستعاذُ به مِنَ المَضارّ)[1].

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾:

الخصوصُ والعُمومُ يُحقِّقان نُكَتًا في المَنظوم

عبَّرَ النظمُ الكريمُ المُضافَ إليه بـ(الـ)، في قولِ الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾؛ للدِّلالةِ به إمّا على معهودٍ، وهو انفلاقُ الصُّبحِ عن اللَّيل، أوْ على الجِنسِ المُفيدِ لاستغراقِ كلِّ ما انفلَقَ منَ الموجوداتِ الَّتي برَأها الله تعالى، وأوجَدَها[2]، وفي كلٍّ من الصَّباح والموجوداتِ: كثرةٌ؛ لِتَعدُّدِ الصَّباحات والموجودات، فناسَب تكرُّرُ الاستعاذةِ منها لتكرُّرِها وكَثرَتِها، "وقيل: إنَّ تخصيصَ ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾ بالذِّكر؛ لأنّه أُنموذجٌ من يومِ القيامة؛ لأنَّ مِن الناس مَن يغدو، فيَلقى، وينالُ خيرًا، ومنهم مَن يجدُ ما يضرُّهُ، ويكرَهُهُ"[3].

نكتةُ الاستعارةِ في ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾:

القادِرُ على الإتيانِ بالفَلَق يُحتمَى بجنابِهِ مِن كلِّ قَلَق

استعارَ النظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾، في قولِ الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾؛ للدِّلالةِ بهِ على الصَّباح؛ إذْ شبَّه الصَّباحَ في خُروجِهِ وظُهورِهِ بالفَلَق - الذي حقيقتُه انشقاقٌ عن باطِنِ الشيء - ثمَّ حذفَ المشبَّهَ، وأبقى المشبَّهَ به على سبيلِ الاستعارةِ التصريحيَّة، والغَرَضُ من هذه الاستعارةِ بيانُ سببِ الاحتماءِ بهِ تعالى؛ إذ مَن قدَرَ على فلْقِ الصُّبح من الظُّلمة، وإيصالِ الضّوءِ من الشَّمس؛ فإنَّه يَنبغي التعوُّذُ به والاحتماءُ بحِصنِهِ[4]، ولَوْ حُمِل ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾ على المخلوقات؛ فإنّ فيه استِعارةً تَصريحيَّةً كذلك، بتشبيه الخَلقِ بالإخراج والإظهار، فإنّه فلَقٌ لِظُلمةِ العَدَم بنورِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 370.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 457.
(3) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 2054.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 626.

الإيجاد[1]، والذي خلق الكَونَ وما فيه هو القادِرُ على حمايةِ المُتَعَوِّذِ من شُرورِهم.

نكتةُ الإضافةِ إلى ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾:

الالتجاءُ إلى مَن بيدِهِ الأمور، لِما في اللّيل مِن مَظِنّةِ الشُّرور

خصّ النظمُ الكريم ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾ بمَعنى الصَّباحِ بالإضافةِ إلى الرَّبِّ سبحانه في قولِهِ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، معَ أنَّ المَوْلى الجليلَ ربُّ كلِّ شيءٍ؛ "لأنَّ شَرًّا كَثيرًا يَحْدُثُ في اللَّيْلِ مِن لُصوصٍ، وسِباعٍ، وذَواتِ سُمومٍ، وتَعَذُّرِ السَّيْرِ، وعُسْرِ النَّجْدَةِ، وبُعدِ الاستِغاثَةِ واشتِدادِ آلامِ المَرْضَى، حَتَّى ظَنَّ بَعْضُ أهْلِ الضَّلالَةِ اللَّيْلَ إلَهَ الشَّرِّ، والمَعْنَى: (أعوذُ بفالِقِ الصُّبْحِ مَنْجاةً مِن شُرورِ اللَّيْلِ، فإنَّهُ قادِرٌ عَلَى أنْ يُنْجيَني في اللَّيْلِ مِنَ الشَّرِّ، كَما أنْجَى أهْلَ الأرْضِ كُلَّهُمْ بأنْ خَلَقَ لَهُمُ الصُّبْحَ)، فوُصِفَ اللهُ بالصِّفَةِ الَّتي فيها تمهيدٌ للإجابة"[2]، فيُفيدُ الفلَقُ الاستبشارَ بأنَّ مَن برأ الصَّباح والموجوداتِ قادرٌ على أنْ يفلِقَ السُّرورَ عن الحُزنِ، والسَّعادةَ عن القَلَقِ في قلبِ المُستعيذ.

وفي هذه الإضافة إشارةٌ إلى الاستدلال على البَعثِ بالخَلْق، كما في آياتٍ كثيرة من القرآن الكَريم، فالحَشْرُ كالفَلْقِ إزالةٌ لِظُلمةِ العدَمِ بجمعِ الأجزاءِ المتفرِّقة، ولو قيل: (رَبُّ الموجودات)؛ لما حَصَلَتْ هذهِ الإشارة[3].

دلالةُ ﴿مِن﴾:

تحديدُ أطرافِ الإعاذة توضيحٌ للمُرادِ وإبانَة

عبَّرَ النظمُ الكريم بحرفِ الجرِّ ﴿مِن﴾، التي تُفيدُ الابتداء في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ لبيانِ المُستعاذِ منهُ، فالمُستعيذُ هو المُخاطَبُ بالأمر ﴿قُلۡ﴾، والمُستعاذُ به

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 348.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 626.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 503.

رَبُّ الفَلَق، والمُستعاذُ منهُ بُيِّنَ بحرفِ الجرِّ ﴿مِن﴾، فيكون مُتعلِّقًا بالفعلِ ﴿أَعُوذُ﴾[1].

دلالةُ صيغَةِ ﴿شَرِّ﴾:

كلُّ أفرادِ الشّرِّ يُستعاذُ مِنها بمَن لهُ الأمر

عبَّرَ النظمُ الكريمُ بلفظِ ﴿شَرِّ﴾، في قولِ اللّه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ للدِّلالة على الصِّفةِ المُشبَّهة؛ إذ ليسَ المرادُ به هنا اسمَ التفضيل؛ لأنَّ التعوُّذَ وطلَبَ الاحتماءِ مِن كلِّ أمرٍ فيه شرٌّ، أوْ قامَ به هذا الوصفُ، وليس مِنَ الأمرِ الأشرِّ مِن غيره، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ كلَّ شرٍّ مهما كانَ صَغيرًا؛ فهو يُتعوَّذُ باللّه تعالى مِنه، وفيه ردٌّ على ما يعتقِدُه المشركونَ من أنَّ الشَّرَّ الأكبَرَ يُتعوَّذُ باللّه منه بخلافِ الشُّرورِ الصَّغيرة الَّتي كانوا يَستنجِدونَ بالأصنام لِتُخلِّصَهم مِنها.

دلالةُ الإضافة:

مَن عَمِلَ خلافَ الخَيرِ وقَعَ في دائرةِ الشّرِّ والضَّير

أضافَ النظمُ الكريم لفظَ ﴿شَرِّ﴾ إلى ﴿مَا خَلَقَ﴾، في قولِ اللّه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ للدِّلالة على الأضرارِ النّاجمةِ عن المصائبِ المَخلوقةِ للّه تعالى كالإعصارِ والزِّلزال وغيرِهما، وعلى كلِّ أفرادِ الشُّرور والضَّرر الصّادر مِن خلقِهِ ومَخلوقاته، وفي نسبةِ الصِّفة المشبَّهة إلى المخلوقاتِ إشارةٌ إلى أنَّ الشّرور قائمةٌ بها مُلازمةٌ لها.

دلالةُ ﴿مَا﴾:

إبقاءُ اللَّفظِ على عُمومِهِ أدلُّ مِن حَمْلِهِ على خُصوصِه

عبَّرَ النظمُ الكريم بالأداةِ ﴿مَا﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، التي تحتَمِل أن تكون مَصدَريَّة[2]، والتقديرُ: (مِن شرِّ خَلْقِهِ)، والعدولُ عن المصدرِ الصَّريح إلى المصدرِ المُؤوَّل؛ لتأكيد اتِّصاف اللّه بالخالِق، لِما في الفعلِ الماضي من دلالةٍ على التحقُّقِ والوقوعِ، وفي هذا التّعبير تَقويَةٌ للأمر بالتَّعَوُّذ؛ إذِ الذي خَلَقَ أعلَمُ

(1) السمين، الدر المصون: 11/ 157.

(2) السمين، الدر المصون: 11/ 157.

بخَلْقِه وبما يصدُر منهم من الشَّرور، وهو أقدَر على حمايةِ عبده منها، فعلى كُلِّ مُتَعَوِّذٍ أن يَلتَجئَ إليه وحدَه، والتعوُّذُ من شرِّ الخلْق مستلزِمٌ للتعوُّذِ من شرِّ المخلوقات؛ لاحتمالِ أنْ يكون المصدرُ المؤوَّلُ بمعنى المفعولِ، فيتلاقَى مع دلالة الموصوليَّة.

فالأداةُ ﴿مَا﴾ هنا تحتمِل أيضًا أن تكونَ مَوصولة، والتقديرُ: (مِن شرِّ الَّذي خلَقَ)، ويكونَ التعبيرُ بها؛ للدِّلالة على العُموم الصّادق بكلِّ مَخلوقاتِه، أي: (أعوذُ بربِّ الصُّبح مِن شرِّ ما خَلَقَهُ، كائنًا ما كانَ، من جميعِ مخلوقاتِه)، فيعُمَّ جميعَ الشُّرور، ولا وجهَ لتخصيص هذا العُموم[1]، ودَخَلَ شَرُّ الجنِّ والإنسِ في عموم المُتَعَوَّذِ منه، المُستفادِ من ﴿مَا﴾ - وإن كانوا عُقلاء - لأنّ الغَلَبَةَ لمّا حَصَلَتْ في جانب غيرِ العُقلاء؛ حسُن استعمالُ ﴿مَا﴾ فيه[2]، بل ودَخَلَ شَرُّ نَفْسِ المُتَعَوِّذ، كما في الدّعاء الثّابتِ عن النبيِّ ﷺ: «أعوذ بك من شر نفسي»[3].

دلالةُ الفعلِ ﴿خَلَقَ﴾:

ركَّبَ في الخَلْقِ الشُّرور؛ ليتحصَّنَ العبدُ بمَولاهُ من الثُّبور

عبّرَ النظمُ الكريم بفعلِ الخَلْقِ ماضيًا في قولِ اللّه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ للدّلالة على تحقُّقِ وقوعِ فعلِ الخَلْقِ على سبيلِ القَطْعِ بالحُصول، وليدلَّ بمادّتِه على التقديرِ والإيجاد، فقد أوْجدَ المخلوقاتِ مُتّصفةً بذلك؛ ليَعوذَ العبدُ بخالقِه وخالقِ ذلك الشرِّ ومُقدِّره عليه، مُستغيثًا ومُتحصِّنًا به ليُنجيَهُ، فالحكمةُ في ذلك الخَلْق هدايَةُ العبادِ إلى اللُّجوءِ إليه والتّعَوُّذِ به.

بَديعُ الجِناسِ النّاقص:

ما خَـرَجَ مِنَ الفلَق هو صورةٌ لما خَلَق

عبّرَ النظمُ الكريم بأسلوبِ الجِناسِ النّاقِص في ختامِ الآيتَين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[4]؛ إذِ اتّفَقَ اللَّفظانِ في

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 459.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 373.
(3) أبو داود: 5067، والترمذي: 3392، وأحمد: 51.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 469.

حرفَي اللّام والقاف، واختَلَفا في الحرفِ الأوَّل، والفَلَق بمعنى المَفلوق، وهو الشّيءُ الَّذي خرجَ من العَدَم إلى ساحةِ الوُجود، و﴿مَا خَلَقَ﴾ بمعنى المَخلوق، فحصَلَ بينَ المُتجانِسَين تقارُبٌ بَديعٌ في اللَّفظ والمعنى.

نكتةُ الوَصْلِ في ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾:

رَبْـطُ المُستعاذِ مِـنـه لـتـغـايُـرِ الأنـــواعِ بينَها وبينَه

وصلَ النظمُ الكريم قولَ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ بما قبلَهُ؛ لبيانِ أنواعٍ وصوَرٍ مختَلِفةٍ للمُستعاذِ منه، وإنْ كانت مرتبِطةً به ارتباطَ الخاصِّ بالعامِّ، فالآيةُ - واللَّتانِ بعدها - من قَبيلِ التّفصيلِ لمُجمَل، أُريدَ به حكايةُ نماذِجَ مِن أفرادِه، بحيثُ تغدو كلُّ جملةٍ منهُ مُستَقِلَّةً عن الأخرى؛ نَظَرًا لأهمّيَّة كلِّ مضمونٍ من تلك المَضامين[1]، "ولأنَّ تعيينَ المُستعاذِ أدلُّ على الاعتناءِ بالاستعاذة، وأدْعى إلى الإعاذَة"[2]، والجامِعُ بين هذهِ الأنواع: كونُها مَخوفَةً من الإنسان، فأرشَدَتْهُ السّورةُ إلى أهمّيَّةِ الالتجاءِ والتحصُّنِ بالله تعالى وحدَهُ منها.

نكتةُ التَّوافُقِ في العَطْف:

الاستعاذةُ برَبِّ الخَلْقِ من شرِّ ما خَلَق، وبِرَبِّ الـصُّـبـح مـنَ اللَّيل؛ إذا غَسَق

عبّرَ النظمُ الكريم بأسلوبِ عَطفِ الخاصِّ بعدَ العامِّ، في قولِ الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، لعمومِ ما خلقَ، وخُصوصِ الغاسِقِ؛ إذا وقَب، ويُلاحظُ توافُقٌ في الخُصوص بعدَ العموم، لدلالةِ ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ على العُموم لكلِّ مُنفلِق، وعلى الخصوصِ الّذي هو الصُّبح، فبعمومِهِ يُستعاذُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، وبخصوصِهِ للنّورِ النَّهاريِّ يُستعاذ من: ﴿شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[3]، فيكونُ من قبيلِ اللَّفِّ والنَّشر تقديرًا، أوْ منَ التَّقسيمِ بعدَ الجَمْع.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 627.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 459.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 575.

نُكتَةُ الإطنابِ بتَكرارِ المُتعلِّقِ:

ابتهالٌ والتِجاءٌ إلى خـالِـقِ الكائِنات

كان مُقتَضى الظّاهِر أن يُكتَفى لذِكرِ كُلِّ مُستَعاذٍ منه بالواوِ العاطِفة، لكن كَرَّرَ النظمُ الكريم مع الواو متعلِّقَ الإعاذة الجارَّ والمجورَ ﴿وَمِن شَرِّ﴾ ثلاثَ مرّات، ابتداءً بقولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ للتنبيهِ على شَناعةِ هذه المذكوراتِ[1]، وللاهتمام بمَضمونِ كلِّ مَذكورٍ منَ المَذكورات، وأنَّ كلَّ واحدٍ منها له استقلاليّتُهُ في الشَّرِّ وخَطَرُهُ، فالعَطفُ على المُستعاذِ منهُ الأوَّلِ من باب عَطفِ الخاصِّ على العامِّ، وتكرارُ المتَعَلِّق يُشير إلى أنَّ كُلَّ مذكورٍ نوعٌ آخَرُ أقوى من سائرِ الشُّرور في الضَّرَرِ والإضرار[2]، وتَكرارُ العامِلِ بعد حرف العطف يُناسِبُ الابتِهالَ في مَقامِ الدّعاء؛ تَعَرُّضًا للإجابة، وهذا ممّا يُستَحسَنُ فيه الإطناب[3].

نكتةُ إضافةِ ﴿شَرِّ غَاسِقٍ﴾:

المُبالَغةُ في التَّعَوُّذ مِن شرِّ اللَّيل، لكثرةِ ما فيهِ منَ السّوءِ والوَيْل

أضافَ النظمُ الكريم الشَّرَّ إضافةً مجازيَّةً في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ إذ الغاسِقُ بمعنى اللَّيلِ الَّذي هو جزءٌ من الزّمانِ، ليسَ له شَرٌّ حتَّى يُنسَبَ إليه، فهو "مِنْ إضافةِ الاسْمِ إلَى زَمانِه عَلَى مَعْنَى (في)، كَقَولِهِ تَعالَى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: 33]، واللَّيْلُ تَكْثُرُ فيهِ حَوادِثُ السّوءِ مِنَ اللُّصوصِ والسِّباعِ والهَوامِّ"[4]، فهو من "إضافةِ الشرِّ إلى اللَّيل لمُلابَستِهِ لهُ بحدوثِهِ فيه"[5]، ولمّا كان الشرُّ يقَعُ كثيرًا في اللَّيل؛ نُسِبَ الشرُّ إليهِ مبالغةً كأنَّه يصدُرُ منهُ، ودلَّت الإضافةُ أيضًا على الاستغراقِ والعموم، أي: (أعوذ من أيِّ شرٍّ وقَعَ في الغاسِق، أيًّا كانَ هذا الشَّرُّ)، وهذا أبلغُ في الالتِجاء إلى اللّه والاعتمادِ عليه.

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 469.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 507.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 627.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 627.
(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 469.

نكتةُ التَّعبيرِ بالغاسِقِ:

شـــدَّةُ الظُّلمة تُثيرُ الخوفَ بكلِّ قوَّة

عبَّر النظمُ الكريمُ بالغاسِق دون اللّيل في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ للدّلالةِ على وصفٍ للَّيلِ عندَ اشتدادِ ظُلمتِه، فيكونُ صفةً مشبَّهةً دالّةً على ثبوتِ العتمةِ لموصوفٍ محذوفٍ، تقديرُهُ: (ليلٍ غاسِقٍ)، ويَدُلُّ بمادّتِه على شدَّة العَتَمةِ وقوّتِها[1]، وهو أكثرُ جزءٍ من اللَّيل إقلاقًا وأشدُّهُ إخافةً، فيكونُ التعوُّذ من شرِّ ما يقَعُ فيه أنسَبَ وأوْقَعَ، وأصلُ الغَسَقِ الامتلاءُ، يقالُ: غسَقَتِ العينُ؛ إذا امتلأتْ دَمْعًا، أوِ السّيَلان، وغسَقُ العينِ هو سَيَلانُ دَمعِها[2]، وسُمّي اللّيلُ غاسِقًا؛ لانصبابِ ظلامِهِ على الأرض[3].

دلالةُ الاستعارةِ في ﴿غَاسِقٍ﴾:

انصبابُ الظَّلام كـنُـزولِ الـدَّمعِ المُستهام

شبَّهَ النظم الكريم انصبابَ الظّلام على الأرضِ بسَيَلان الدّمعِ على الخدّ في قول اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، فاستعارَ لفظَ ﴿غَاسِقٍ﴾ على سبيلِ الاستعارةِ التصريحيَّة التبعيَّة، والغرَضُ من الاستعارةِ تشخيصُ نُزولِ الظُّلمةِ وإحاطتُها بالأرضِ كإحاطةِ الدَّمعِ السّائلِ ونزولِهِ على صفحةِ الخدِّ[4]، أوْ شبّهَ امتلاءَ الأرضِ بالظُّلمة بامتلاءِ العينِ بالدّمع، والغرضُ ظاهرٌ في اشتدادِ الظُّلمة الَّتي تبعَثُ على الخَوف والقَلَق[5].

دلالةُ تَنكيرِ ﴿غَاسِقٍ﴾:

مَـقـامُ الـدُّعـاء يُناسِبُهُ التّعميمُ للانتفاع

نكّر النظمُ الكريم المُضافَ إليه في قول اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ للدلالة على الجنس المفيدِ للتَّعميم، فالتَّعَوُّذُ من كُلِّ غاسِقٍ وعَتَمَةٍ وظُلْمَة – لا من غاسِقٍ دون آخر – هو أنسَبُ لمقام الدّعاء وإظهارِ حاجَةِ العَبدِ إلى حماية رَبِّه[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 627.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 459.
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 24/ 460.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 373.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 508.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 627.

دلالةُ تَقييدِ ﴿غَاسِقٍ﴾:

تقييدُ الغَسَق بوقتِ التّمام يدلُّ على شدّةِ الإظلام

قيّدَ النظمُ الكريم الاستعاذةَ من شرِّ اللَّيل الشَّديدِ الظُّلمةِ وعظيمِها بالظّرف الزَّمانيِّ الاستقباليِّ في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ لتحديدِ أعلى دَرَجاتِ الشِّدَّة في ذلك الإظلام، وهو وقتُ الشدَّة التامّة، الذي يتحيَّنُ فيه العابثونَ غفلةَ الناسِ بالنّومِ لتنفيذِ مآربِهم السيِّئَة[1].

دلالةُ الفِعلِ ﴿وَقَبَ﴾:

تسلُّلُ العَتَمَة لِتغلغُلِ شِدَّةِ الظُّلمة

عبَّر النظمُ الكريم بفعلِ الوَقْب ماضيًا في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ للدّلالة على تحقُّقِ وقوعِ النُّزولِ للغاسقِ وإنْ كان استقباليًّا، وليَدُلَّ بمادّته على تَغَلغُلِ الظُّلمة القاتمة ودخولِها في أجزاءِ اللّيل حتى تُصبحَ عَتَمَةً تامّة، فالمادّة تدُلُّ على الدُّخولِ في الشيء والتَّغَلغُلِ فيه كالوَقْبَة، وهي النُّقْرَةُ في الصَّخْرَة يجتمع فيها الماء، ووَقَبَتِ الشَّمْسُ غابَتْ، وتَخصيصُ التَّعَوُّذِ بأشَدِّ أوْقاتِ اللَّيْلِ لِتَوَقُّعِ حُصولِ المَكْروه[2].

دلالةُ الاستعارةِ في ﴿وَقَبَ﴾:

اجتماعُ أجزاءِ الظَّلام حتَّى يتحقَّقَ الإعتام

في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ شُبِّهَ تَغَلغُلُ أجزاءِ ظُلمةِ اللَّيل بتغلغُلِ أجزاءِ الماءِ في نُقرةِ الصَّخرة الَّتي يتجمَّعُ فيها الماء، ثمَّ حُذِفَ المشبَّهُ، وأُبقيَ المشبَّهُ به على سبيل الاستعارةِ التصريحيَّة التَّبَعيَّة، والغَرَضُ من الاستعارةِ بيانُ تجمُّعِ الظُّلمةِ، حتَّى تحوَّلَتْ إلى عَتَمةٍ قاتمة، كما يتجمّعُ الماءُ في الصَّخرة[3].

نكتةُ الوَصْلِ:

تـقـارُنُ اللَّيـل بالسِّحر مَدعاةٌ للتحصُّنِ بفالِقِ البَحْر

وصلَ النظمُ الكريم بالواو قولَ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾، بما قبلَه لِرَبطِ النّوعِ الثاني من الأنواعِ الخاصَّةِ المَعطوفة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 627.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 627.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 508.

على العامِّ بالنَّوعِ الأوَّل؛ لوجودِ تناسُبٍ واقترانٍ في الخيالِ بينَ المُتعاطِفَين، يكمُنُ في أنَّ اللَّيل "وقتٌ يَتَحَيَّنُ فيهِ السَّحَرَةُ إجْراءَ شَعوَذَتِهِم؛ لِئَلّا يَطَّلِعَ عَلَيْهِم أحَدٌ"[1]، وأيضًا فإنَّ كُلًّا من اللَّيلِ والسِّحرِ يُثيرانِ المَخاوِفَ في الإنسان، وبدَلًا من التوجُّهِ للأصنامِ بالالتجاءِ والتَّعَوُّذِ يُرشِدُ النظمُ القرآنيُّ أهَمِّيَّةَ التّوجُّهِ إلى ربِّ الفَلَق.

نكتةُ إضافة ﴿شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾:

أضافَ النظمُ الكريم الشّرَّ إلى النَّفّاثات، في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾؛ للدّلالةِ على العُموم والاستغراق، وهو المُناسِبُ لمقامِ الدُّعاء والاستعاذةِ بربِّ الفلَق، فكلُّ فردٍ من أفرادِ شرِّهِنَّ مُستعاذٌ منه بالله تعالى، وإضافةُ الشرِّ إلى النَّفّاثات باعتبارِ ما يصدُرُ عنهنّ من شرٍّ وضرَرٍ بإذن الله تعالى؛ إذ خالقُ الخيرِ والشرِّ هو الله تعالى، فيُجري على أيديهنَّ الشرَّ لامتحانِ عبادِهِ المُؤمنين باللُّجوءِ والتحصُّنِ به وحدَهُ.

كلُّ أفرادِ الشرِّ تستوجِبُ الإنابةَ إلى خالِقِ البَشَر

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾:

عرَّفَ النظمُ الكريم لفظَ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾، في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ بـ(الـ)؛ للدّلالة على العُموم والاستغراق، المُناسِبِ لمَقامِ الدُّعاء وجمعيّةِ اللّفظ جمعَ مؤنَّثٍ سالم، فلا فرقَ بينَ ساحرةٍ وأُخرى في التعوُّذِ منهنَّ ومن شرِّهِنَّ وكيدِهِنّ ونَفْثِهِنّ، فتعريفُ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ للجنسِ، وهو في معنى النّكِرَة، فلا تفاوُتَ في المعنى بينه وبين تنكيرِ ﴿غَاسِقٍ﴾ قبلَه، و﴿حَاسِدٍ﴾ بعده، وإنّما امتازَ لفظُ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ من بينِ ما أُضيفَ إليه الشَّرُّ – مع انفرادِهِ بالجَمْعِ كذلك – لأنّ كُلَّ نَفّاثَةٍ شِرّيرَة[2]، وأيضًا فإنّ التَّعريفَ هنا؛ للإشارة إلى أنّ عَمَلَ السِّحرِ حقيقةٌ معلومةٌ للسّامِع، فالنّفّاثاتُ معهوداتٌ بين العرب[3].

المُناسِبُ لمَقامِ الدُّعاء التعوُّذُ من جميعِ السّاحرات منَ النِّساء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 628.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 509.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 628.

دلالةُ كَلِمَةِ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾:

النّفْثُ المُتواصِل للوُصولِ إلى السِّحرِ الكامِل

عبّرَ النظمُ الكريم بمادَّةِ النَّفْث في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾؛ لدلالتها على عَمَلِ السّحر، فالنَّفْثُ هو نَفْخٌ مُتواصِلٌ من الفم مع تحريك اللِّسان، دونَ ريقٍ أوْ بَلَلٍ، وهو أقَلُّ من التُّفْل، يَفْعَلُهُ السَّحَرَةُ؛ إذا وضَعوا عِلاجَ سِحرِهم في شَيء، وعَقَدوا عليه عُقَدًا، ثُمَّ نَفَثوا عليها[1]، وتَدُلُّ صيغةُ مُبالغةِ اسم الفاعل ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾[2]، على ذَواتٍ يصدُرُ منهُنَّ النفثُ بطريقةٍ مُتكاثِرةٍ ومُبالَغٍ بها؛ إشارةً إلى إصرارهِنَّ على السِّحر، وسَعيهِنّ إلى تحقيقِهِ بكلِّ ما أوتوا من قوَّة، ورُبَّما كانت في صيغَةِ جَمعِهنَّ إشارةٌ إلى عَمَلِهنّ جماعات؛ "لأنَّهُ كُلَّما كانَ اجتِماعُ السَّحَرَةِ عَلَى العَمَلِ الواحِدِ أكْثَرَ؛ كانَ التَّأثيرُ أشَدَّ"[3].

نكتةُ حذفِ مَوصوفِ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾:

الحذفُ لأجزاءِ الكلامِ يُثري المَعنى والمَقام

حذَفَ النظمُ الكريم موصوفَ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾، وأُقيمَتِ الصِّفةُ مقامَ الموصوف؛ لدلالتِهِ على عِلَّةِ التعوُّذ منهُنَّ ومن عملِهِنَّ، وهو النفثُ في العُقَد، الَّذي هو عبارةٌ عن إجراءِ السِّحر وإمضائِهِ، ويحتملُ تقديرُ المَوصوفِ عامًّا وخاصًّا، أي: (النفوسُ النفّاثات)، فيشمَلُ الرِّجالَ والنِّساء، أوِ (النِّساء النفّاثات) فيختصُّ بهِنّ، ولا يبعُدُ أنْ يُرادَ العمومُ باعتبارِ مَقام الاستعاذة، والخصوصُ باعتبارِ أنَّ الأشهَرَ والأكثَرَ في عمَلِ السِّحر هُنّ النِّساء[4].

نكتةُ حذفِ المُضافِ إلى ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾:

المُبالغةُ والتعليل سببانِ للحَذفِ في التنزيل

حذفَ النظمُ الكريمُ المضافَ إلى ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ في قولِ الله تعالى:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 628.
(2) السمين، الدر المصون: 11/ 160.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 375.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 628.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾، وحذفَ الموصوفَ، والتقدير: (ومن شرِّ عَمَلِ النّفوسِ النفّاثات)[1]، ودلَّتْ صفةُ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ على طبيعةِ ذلك العمَلِ المُضافِ المَحذوف، وهو النَّفْثُ في العُقَد من طُقوس السِّحر، والغرَضُ مِن الحذْف للمضافِ المبالغةُ في التعوُّذِ من شرِّ عمَلِهنَّ، فحُذِفا؛ ليكونَ التعوُّذُ من ذواتِهن؛ لِتَغَلغُلِ شَرِّ السِّحر في نُفوسِهنّ.

نكتةُ التّخصيصِ بالذِّكْر:

التعوُّذُ من كلِّ أنـواعِ السِّحر بـدلالـةِ النـصِّ المَـفـهـومِ مـنَ الذِّكْرِ

خصَّ النظمُ الكريمُ النّفثَ في العُقَد بالذِّكْرِ من بينِ أنواعِ السِّحر العديدةِ في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾؛ لأنّ الأغلَبَ في عَمَلِ السِّحرِ أن يكونَ به، ولِقوَّةِ تأثيرِ السِّحرِ به، ولأنّه الأنسبُ لما قيل من سببِ النّزول، أنّ السّورتينِ الفلقَ والنّاسَ نَزَلَتا من أجْلِ أنْ يَستشفيَ بهما رسولُ الله ﷺ من شرِّ السِّحر الكائنِ بالنّفث في العُقَد، الذي عَمِلَه لَبيدُ بن الأعصَم، فالتّعبيرُ بهذا التّخصيص أنسَبُ في هذا المقامِ مِن ذِكرِ التّعوُّذ من عُمومِ السِّحر، فالآيةُ تدلُّ بمَنْطوقِها عَلَى الاستعاذة من السِّحر المَذْكور، وتدلُّ عَلَى الاستعاذةِ عن سائرِ أنواعِ السِّحرِ بدلالةِ النصِّ، سواءٌ كان فيها نفثٌ أم لا[2].

سِرُّ تَرْكِ التّقييد:

شـأنُ الـنـفّـاثـاتِ إيذاءُ النّاسِ على سبيلِ التَّأبيد

غيّرَ النظم الكريمُ الأسلوبَ في قولِ الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾، فعَدَلَ عن تَقييد اسم ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾، بقوله: (إذا نَفَثْنَ في العُقَد)، كما قَيَّدَ في الآية السّابقة: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، وفي اللّاحقة: ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾؛ لأنَّ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ دأبُهُنَّ الشَّرُّ، وصيغةُ المبالغة تدلُّ على الهَيَجان والثَّوَران في النّفْث، فلا حاجةَ إلى التّقييد بالوقوعِ المُستقبَليّ، هذا بخلافِ الغاسِقِ والحاسِد، اللَّذين قد يشتدّان، ويَقوَيان؛ فالغاسِقُ تزدادُ ظُلمَتُهُ، والحاسدُ يشتدُّ هَيَجانُهُ،

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 2057.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 509.

فقُيِّدا بـ﴿إِذَا﴾ للاستعاذةِ منهُما في أشدِّ أحوالِهما وأكثَرِهما شرًّا، أمّا في هذه الآية؛ فاستُغني باسم الفاعِل عنِ التّقييد، وبصيغتِه عن التّأكيد.

دلالةُ الحرف ﴿فِي﴾:

المَسارِبُ الضَّيِّقة تُنبِئُ عنِ النُّفوسِ السيِّئة

عبّرَ النظمُ الكريم بحرفِ الجرِّ ﴿فِي﴾، في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾؛ للدِّلالة على الظرفيَّةِ الحقيقيَّة؛ إذْ هذا النّوعُ من السِّحر يتحقّقُ بطريقةِ النّفث والنَّفخِ في العُقَد، وذلك التشخيصُ الظَّرفيُّ يُعطي صورةً لبناتِ لبيدِ بنِ الأعصم، وهُنَّ يُجهِدْنَ أنفسَهُنَّ في النفث في تلك الأمكنةِ الضيِّقة؛ تصويرًا لإصرارهِنّ على إيذاءِ النبيِّ ﷺ، ولكلِّ ساحرٍ وساحرَةٍ يَعمَلُ ذلك العمل، ويَقومُ بتلك الطُّقوس.

دلالةُ كَلِمَةِ ﴿ٱلْعُقَدِ﴾:

الاستغراقُ والجمعيَّة دالّانِ على كراهةٍ دائميَّة

جَمَعَ النظمُ الكريم لفظَ ﴿ٱلْعُقَدِ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾؛ للدِّلالة على كثرةِ تلك العُقَد، الَّتي تُظهِر جُهدَ كلِّ ساحرٍ وساحرَةٍ الدّائبَ في إيذاء الناس، وتعبِّرُ كذلك عن انتشارِ عَمَلِ السِّحر في الأرض عبر العُصور، وتوحي مادّةُ ﴿ٱلْعُقَدِ﴾ بالتَّعقيدِ والمتانة والشِّدَّةِ والغَلْق، وذلك ممّا يُصيبُ المَسحورَ من انعقادٍ عنِ الحركةِ والصَّلاة، وتُصابُ نفْسُهُ بالعَقادة والانغلاقِ.

نكتةُ الوَصْلِ:

التعوُّذُ باللهِ منَ الشُّرور مَنجاةٌ وحَبور وحُبور

وصلَ النظمُ الكريم بالواو النَّوعَ الثالثَ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، بالنّوعِ الثاني من أنواعِ الشُّرور، المشترِكَةِ في كونِها معطوفةً عطفَ الخاصِّ على العامِّ؛ لوُجودِ تناسُبٍ بينَها وبينَ ما قبلَها، في كونِها شُرورًا تُثيرَ المَخاوِفَ، و"عُطِفَ شَرُّ الحاسِدِ عَلَى شَرِّ السّاحِرِ - المَعْطوفِ عَلَى شَرِّ اللَّيْلِ - لِمُناسَبَةٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ المَعْطوفِ

عَلَيْهِ مُباشرَةً، وبَيْنَهُ وبَيْنَ المَعْطوفِ عَلَيْهِ بواسِطَتِهِ، فإنَّ مِمّا يَدْعو الحاسِدَ إلَى أذَى المَحْسودِ أنْ يَتَطَلَّبَ حُصولَ أذاهُ؛ لِتَوَهُّمِ أنَّ السِّحْرَ يُزيلُ النِّعْمَةَ الَّتي حَسَدَهُ عَلَيها، ولأنَّ ثَوْرانَ وِجْدانِ الحَسَدِ يَكْثُرُ في وقْتِ اللَّيْلِ؛ لأنَّ اللَّيْلَ وقْتُ الخَلوة وخُطورِ الخَواطِرِ النَّفْسيَّةِ والتَّفَكُّرِ في الأحْوالِ الحافَّة بالحاسِدِ وبالمَحسود"[1].

فائدةُ تَكرارِ (مِن):

الاعتناءُ بالبَيان لشدَّةِ ما فيهِ مِن الخَطَر على الإنسان

عبّرَ النظمُ الكريم بالحرفِ (مِن) في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾؛ لدلالةِ الابتداء على بيانِ المُستعاذِ منهُ، وكُرِّرَ الجَرُّ به - مع إغناء العَطفِ عنه - للتّنبيهِ على عَظَمَةِ هذا الأمر، وأنّه يستحِقُّ أنْ يُفرَدَ ببيانٍ خاصٍّ بهِ.

نكتةُ إضافةِ ﴿شَرِّ حَاسِدٍ﴾:

للحاسِدِ أضرارٌ كبيرة، وشُرورٌ كَثيرة

أضافَ النظمُ الكريم الشَّرَّ إلى الحاسِد في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾؛ للدِّلالة على الاستغراقِ المُناسِبِ لمَقام الدُّعاء، الموعودِ بالإجابةِ بلفظِ الإرشاد ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾، فالتعوُّذُ من كلِّ فردٍ من أفرادِ الضّرَرِ والشرِّ المنسوبِ للحاسِد؛ نظرًا لما في الحاسِدِ من شُرورٍ عَديدة، وأضرارٍ كبيرة.

دلالةُ المُشتقِّ ﴿حَاسِدٍ﴾:

الحَسَدُ مَرَضٌ دائِم، والتحصُّنُ بالله منهُ لازِم

عبّرَ النظمُ الكريمُ بلفظ ﴿حَاسِدٍ﴾ على وزنِ (فاعل)، في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾؛ للدّلالة بصيغتِهِ على الذّاتِ الَّتي يصدُرُ منها الحسَدُ على سبيلِ الدّوام، حتَّى صارَ الحسَدُ له سجيَّة، فالمشتقُّ - وإنْ كان بوَزنِ اسمِ الفاعل - إلّا أنَّه بمعنى الصِّفة المشبَّهة الدالّةِ على الثبوتِ والدَّوام، ودلَّ بمادَّتِه على "إحْساسٍ نَفْسانيٍّ مُرَكَّبٍ مِن استِحسانِ نِعْمَةٍ في الآخر، مَعَ تَمَنّي زَوالِها عَنْهُ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 629.

لأجْلِ غَيْرَةٍ عَلَى اختِصاصِ الآخر بتِلْكَ الحالَةِ، أو عَلَى مُشارَكَتِهِ الحاسِدَ فيها"[1].

نكتةُ تنكيرِ ﴿حَاسِدٍ﴾:

كُـلُّ الحاسِدين يُـتـعـوَّذُ منهم بالله ربِّ العالَمين

نكَّرَ النظمُ الكريم لفظَ الحاسد في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾؛ للدّلالة على العمومِ المُناسِب لمَقام الدُّعاء، فالتعوُّذُ باللّه تعالى من شرِّ كلِّ حاسدٍ من الحاسِدين، لِما فيهم من شرٍّ عظيم، وبلاءٍ كَبير، والقرينةُ على العُمومِ في النَّكرةِ الواردةِ في الإثباتِ مَعونةُ المقام، ولفظُ ﴿إِذَا﴾ الدالُّ على أنَّه متى حسَدَ يُتعوَّذُ باللّه تعالى من شَرِّهِ؛ فيُفيدُ عمومَ الحاسِدِ.

نكتةُ التَّغايُرِ في السّورَة:

تنكيرُ ما لا يُطّلَعُ عليه، وتعريفُ ما يُمكِنُ رؤيَتُه

نكَّر النظمُ الكريمُ بعضَ المُستعاذِ منهُ - وهو الغاسِقُ في قولِ اللّه تعالى ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، والحاسِدُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ - وعرّفَ بعضَ المُستعاذِ منهُ - النَّفّاثاتُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾، وسببُ هذا التَّغايُرِ أنّ كُلَّ نفّاثَةٍ شِرّيرة، وليس كلُّ غاسِقٍ يَقَعُ فيه الشَّرُّ، ولا كُلُّ حاسِدٍ يَضُرُّ بمَحسودِه، بَلْ رُبَّ حَسَدٍ يَكونُ مَحمودًا، وهوَ الحَسَدُ في الخَيْراتِ[2]، فتنكيرُهما يُفيدُ التّبعيض؛ لأنّه قد يَتَخَلَّفُ الضَّرَرُ فيهما، بخلاف تَعريفِ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾، فإنَّ ضررهُنّ مُتحتِّمٌ بإذْنِ اللّه[3].

ومن الفَرْقِ بينهما كذلك أنّ التنكيرَ جاء لِعَدَمِ العِلْمِ بالغاسِقِ والحاسِدِ اللَّذين يقَعُ الضّرُّ والشرُّ منهما، والتّعريفَ للعِلْمِ بالنفوسِ السّاحِرَةِ التي تمارِسُ السِّحرَ، وتفعلُهُ، فالغاسِقُ وضعٌ زمنيٌّ، لا يُمكِنُ معرفةُ ما يحدُثُ فيه لإظلامِهِ، والحاسِدُ أمرٌ نفْسيٌّ لا يُمكِنُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 629.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 375.
(3) السمين، الدر المصون: 11/ 160.

الاطِّلاع عليه، بخلافِ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ اللّائي يُمارِسْنَ السّحرَ، ويَفعَلْنَه بجوارحِهنَّ، فيُمكنُ الاطِّلاعُ عليه، وبيوتُهُنَّ غالبًا مَعهودةً للناس، ولذا عبَّرَ في موضعِ التنكيرِ بالصِّفة المشبَّهَةِ الملازمَةِ، وفي مَوضِعِ التعريفِ بصيغةِ المُبالغة الدالَّة على العملِ بالجوارحِ.

دلالةُ التَّقييدِ بالظَّرفِ:

تـخـصـيـصُ الحاسِدِ بوَقتِ الـحَـسَـد، لما فيهِ حينئذٍ منَ الضَّررِ والنَّكَد

قَيَّدَ النظم الكريمُ التعوُّذَ من الحاسِدِ بالظَّرْفِ الدالِّ على الاستقبالِ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾؛ لأنَّ المُتَّصِفَ بالحسَد يشتَدُّ ضَرَرُه، ويَكثُرُ شَرُّه؛ إذا أظهَرَ حسدَه، فيَندَفِعُ "إلَى عَمَلِ الشَّرِّ بالمَحْسودِ حينَ يَجيشُ الحَسَدُ في نَفْسِه، فتَتَحَرَّكُ لَهُ الحيَلُ والنيات لإلحاقِ الضُّرِّ به"[1]، فالحسدُ الثاني غيرُ الحسَدِ الأوّل، فالأوّلُ الاتِّصافُ بمُطلَقِ الحسَدِ، والثاني هو الإظهارِ والمُمارسةِ الفعليَّة[2]؛ فلذلك عَبَّرَ عن الأوّلِ بالاسم ﴿حَاسِدٍ﴾ وعن الثاني بالفعلِ ﴿حَسَدَ﴾، أي: (تجلى واضحًا مُنيرًا)[3].

وجيء بالأداةِ الدّالَّة على تَحَقُّق الوقوع مُستَقبَلًا - بخلاف (إنْ) - لأنَّ الحاسِدَ لا يَكادُ ينفكُّ عن إظهارِ حسَدِه في المُستقبل، فكما أنَّ الغاسِقَ لا بدَّ أنْ يتحقَّقَ وقْبُهُ، وتشتدَّ ظُلمَتُهُ، فإنَّ الحاسِدَ سوفَ يتحقَّقُ حسَدُه، ويَبرُزُ أثرُه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفَلَقُ والشَّقُّ:

الـفَـلَـقُ مُختصٌّ بالأمرِ العَظيم

الفَلَقُ هو الشقُّ على أمرٍ كبيرٍ، ولهذا قالَ تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: 96]، ويُقالُ: فلَقَ الحبَّةَ عنِ السُّنبلة، وفلَقَ النّواةَ عنِ النَّخْلة، ولا يقولونَ في ذلك شقٌّ، ومِن ثمَّ سُمّيتِ الدّاهيةُ فلَقًا وفليقةً[4]، فالفلْقُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 629.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 20/ 511.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 629.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 151.

هو إحداثُ خرْقٍ عميقٍ، بحيثُ يُزيلُ المَفلوقَ، ويُعدِمُه، بخلافِ الشقّ، فإنَّه تأثيرٌ بسيطٌ لا يكونُ عميقًا بحيثُ يزالُ المَشقوقُ.

المُتشابِهُ اللّفظيّ:

الربوبيَّة تُشعِرُ بالأمان، والألوهيَّةُ تومِئُ بالاستعدادِ لقراءةِ القرآنِ

عبَّر النظمُ الكريم عن المُستعاذِ به باسم الجَلالة، في قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 98]، في حين عبَّرَ بـ(رب الفلق) في السّورة، وأجابَ عن ذلك الرازيُّ بوجوهٍ: "أحَدُها: أنَّهُ في قَوْلِه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 98]، إنَّما أمَرَهُ بالاستِعاذَةِ هُناكَ لأجْلِ قِراءَةِ القرآن، وإنّما أمرَهُ بالاستعاذة هاهنا في هَذِهِ السّورَةِ؛ لأجْلِ حِفْظِ النَّفْسِ والبَدَنِ عَنِ السِّحْرِ، والمُهِمُّ الأوَّلُ أعْظَمُ، فلا جَرَمَ ذُكِرَ هُناكَ الاسْمُ الأعْظَمُ. وثانيها: أنَّ الشَّيْطانَ يُبالِغُ حالَ مَنْعِكَ مِنَ العِبادَةِ أشَدَّ مُبالَغَةً في إيصالِ الضُّرِّ إلَى بَدَنِكَ وروحِكَ، فلا جَرَمَ ذُكِرَ الاسمُ الأعظم هناك دونَ هاهنا. وثالثُها: فإنْ قيلَ: إنَّهُ خَتَمَ القُرْآنَ عَلَى اسمِ الإلَهِ؛ إذ قال: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: 2 - 3]؛ قُلْنا: فيه لَطيفَةٌ، وهيَ كَوْنُهُ تَعالَى قالَ: (قُلْ أعوذُ بمَنْ هوَ رَبّي)، ولَكِنَّهُ إلَهٌ قاهِرٌ لِوَسْوَسَةِ الخَنّاسِ، فهوَ كالأبِ المُشْفِقِ الَّذي يَقولُ: ارْجِعْ عِندَ مُهِمّاتِكَ إلَى أبيكَ المُشْفِقِ عَلَيْكَ، الَّذي هوَ كالسَّيْفِ القاطِعِ والنّارِ المُحْرِقَةِ لأعْدائِكَ، فيَكونُ هَذا مِن أعْظَمِ أنْواعِ الوَعْدِ بالإحْسانِ والتَّرْبِيَةِ"[1].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 370.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"